

في كلّ جمعة ستكون لنا هذه

الحديقة، وأنا هذه الجمعة، أعود من سفر في الساحل السوري، حيث تشرّفت بالمشاركة في تكريم أسر الشهداء ولقاء نخب الساحل في «دار الأسد للثقافة» في اللاذقية، وأحمل كماً من المشاعر الحارة، وثقة بالنصر المتدرج أسرع من التوقعات، وتأثراً بدرجة الوعي السياسي الذي يختزنه الناس مفعماً بروح التضحية وفرح الإنجاز.

هذه الجمعة في لبنان، ينتظر الناس بقلق زرعة الإعلام والسياسة تحت سؤال، ماذا بعد الفراغ الدستوري؟ وفي سورية ينتظر السوريون يوم الثالث من حزيران ليشاركوا في الحسم الدستوري

مختصر مفيد

◆ سيدخل لبنان حكم الفراغ الرئاسي حتى يصدّق دعاة التمديد للرئيس ميشال سليمان سقوط التمديد، فهم أملاً أنّ ترشيح سمير جعجع وفقاً للطبخة السعودية الفرنسية سيغلق الباب على التفاهم على العماد ميشال عون كمرشح توافقي، وفقاً لمعادلة أقوياء طوائفهم للرتاسات، ويصير التعطيل حكماً حتى يصير التمهيد بالفراغ حتمياً، فترشح بكركي ومعها سيدها، ويبدأ البحث الجذّي بالتمديد للرئيس سليمان كخيار من، بدلاً من الأشدّ مرارة أي الفراغ، وفعلاً نجح التحويل بالفراغ، ونجحت الخطة ورضخ البطريك بشارة الراعي الذي كان صدّ التمديد، ليصير أحلى الأمرين عنده بين التمديد والفراغ، وسيبقى الضغط مستمراً على شارع التيار الوطني الحرّ أملاً بكسر صموده برفض التمديد بتحميله مسؤولية الفراغ في الكرسي الماروني الأول والمسيحي الأول في الدولة اللبنانية، ومع الخامس والعشرين من أيار سيصدّق دعاة التمديد أنّ مشروعهم فشل، وأنّ الفراغ قد وقع، وأنه أهون من التمديد عند فريق المقاومة وداعميها وعند التيار الوطني الحر ومناصريه، وأنّ من يريد تجاوز الفراغ بعد وقوعه يجب أن يسلم بأنّ موعد البحث بالتمديد قد صار ورائنا، وأنهم بسبب أوهامهم أغرّقوا لبنان في الفراغ، وعندها سيكون على الراغبين برؤية رئيس جمهورية أصيل في قصر بعبداء البحث الجدي عن اسم توافقي يمكن أن يجتمع لانتخابه ستة وثمانون نائباً يشكلون ثلثي أعضاء مجلس النواب ولا يجتمعون إلا بتوافق يضمّ قوى الثامن والرابع عشر من آذار.

◆ التطوّرات العسكرية المتسارعة في سورية مع الاستعداد للحسم الدستوري عبر صناديق الاقتراع تعني أنّ سورية ستدخل حكماً في الثالث من حزيران مرحلة جديدة سيكون أهمّها ما فيها، عدا مواصلة الجيش لتنظيف الجيوب التي يسيطر عليها المسلحون، التعدّية السياسية التي يخوض غمارها السوريون، والتي تتجسّد بدايات قد لا يصدّق كثيرون أنها نواة حقيقية لمقاربات ستشغل وقت السوريين وهنما مهم إزاء كيفية إعادة البناء، وحدود العلاقة بين السياسة والأمن والحرية من جهة، وبين ملفات الإصلاح الإداري ومكافحة الفساد من جهة أخرى.

◆ أوكرانيا نحو الفدرالية والتفاوض على موعد الاستفتاء على حق الأقليات بتقرير المصير، وما سينال جمهوريات شرق أوكرانيا الحديثة الولادة أسوة بشبه جزيرة القرم، ويبدو أنّ قرار سحب الجيش الأوكراني من شرق البلاد يأتي تمهيداً لهذه التسوية التي جرى إنضاجها بين روسيا وألمانيا.

رياضيات في الكلام

◆ غالباً ما نتفاجأ بتحوّل النقاش مع شريك أو صديق أو حبيب إلى صدام لا يحلّه إلا تراجع أحدنا كحال دخولنا في رزاق ضيق بسيارة فتفاجئنا سيارة أخرى ونحن على يقين أنها عكس السير، وربما يفاجئنا أكثر يقين السائق الأخر بأننا عكس السير، ولا أحد منا يملك دلائل كافية لإقناع فوري وسريع للأخر كي يتراجع لأنّ لا إشارات سير واضحة في الرزاق لكن أحدنا يجب أن يتمتّع بذكاء وتواضع ولباقة التصرف ويقول في نفسه ما همّ أن أنفق يومي وأعصابي لأثبت اني على حق وأخسر ما هو أثنى بضعة من عمري وتوترأ في مشاعري وغضباً وقهراً فيقرّر العودة إلى الوراء قبل أن تتراكم الصفوف وراءهما ويصير التراجع مستحيلأ

فهل نعرف كيف نقود حياتنا مع من نتشارك معهم جزءاً مهماً من عمرنا كما نقود سيراتنا في رزاق ضيق وتعلمهم أن يتصرّفوا مثلنا فنتسابق إلى من يتراجع للأخر غير أنه بنظرية الوقوع بالتصادم، ليس مهماً طالما أننا واثقون من أننا على حق فنكسب حكم الخبير لكن نخسر العمر وتضيع فرص الفرّج.

هناك من سيقول تعليقاً، جزئنا وصار التراجع ضعفاً بعين الأخر، وهناك من سيقول: فرحوا بتراجعنا وصارت عادة، وهناك من سيقول: لكن الآخر كلما تراجعنا يكزرها، ولكلّ هؤلاء أقول إذن أسأتم اختيار الشريك أو الرزاق أو فقدتم قيمة الجساس بالفرج وضياح الععر، فلستم من أتحدث عنه بل عمّن لا زال يحدوهم الأمل بتنافس لحظات العمر بفرج، والمعادلة هنا أن نقول ما نريد ونفعل ما يطلبه الأخر، ونعلمه أن يقول ما نريد ويفعل ما نطلب فنسحب ونخطئ ويصيب ويخطئ، لكننا سنكتشف سهولة البسمة، وإن فشلنا فلنتوافق على شارع فسبح يتسع لكلنا بلا معاكسة السير.

مفردات نستخدمها

◆ القيمة الاستراتيجية للجيش والقوى المسلحة عامل تقاس به النتائج الناتجة من أيّ حرب، وتحديدأ للنصر والهزيمة بعدما لم يعد في حروب اليوم التعبيرات التقليدية عن النصر والهزيمة في حروب القرون الوسطى، وهي دخول المنتصر عاصمة المهزوم وإعلان استسلامه وفرض الشروط الجزية والنفي عليه أو تدمير القوة العسكرية للخصم كلياً في منطقة وسيطة والاكتفاء بذلك كنتيجة نهائية للحرب.

◆ القيمة الاستراتيجية للجيش تختلف عن تعريف القوة الصافية للجيش التي تتكوّن من قراءة مقدراتها عمداً وسلاحاً ومالاً وحالة معنوية، فالجيش تتحدّد قيمتها الاستراتيجية بمقدار ما تمنح صانع القرار السياسي القدرة على اتخاذ قرار حرب بحيث تصير القيمة الاستراتيجية لجيش هائل المقدرات صفراً إذا كانت نسبة القدرة على اتخاذ قرار بالحرب هي صفر، كحال الجيش السعودي وأغلب جيوش الخليج، بينما تصير قوة المقاومة في لبنان ذات قيمة استراتيجية عالية بمقدار ما تمنح قيادتها القدرة على اتخاذ قرار حرب كالتّي تخوضها في سورية، أو التي خاضتها مراراً في وجه «إسرائيل» على رغم تفاوت القدرات قياساً ومقارنة.

◆ في أيّ حرب صار النصر على ضفة من يخرج منها بقيمة استراتيجية أعلى لجيوشه، أي بالقدرة على الخوض في حرب جديدة، فالجيش الأميركي في أفغانستان عام 2001 خرج منتصراً لأنّ نتيجة الغزو منحتة قدرة أعلى على خوض حروب جديدة، وكانت الحرب على العراق، بينما هو في حرب العراق مهزوم لأنّ نتيجة الحرب قيّدت القيادة السياسية على الدخول في حروب جديدة، والمقاومة في حرب تموز منتصرة لأنها خرجت بقدرة على خوض حرب جديدة، و«إسرائيل» مهزومة لأنها خرجت بمزيد من القيود على خوض الحرب من جديد.

حدث في مثل هذا اليوم

مقالتي اليومية كتب ناصر قنديل في 2013-5-22

هل تعرفون؟

هذا الصباح من دمشق كنت أقول في سرتي، وأحياناً من دون انبياه يرتفع صوتي ويسمعه الشباب معي من غرفة ثانية، وأنا اهتف «الله أكبر».
إنّ دولة عربية يقَاتلها العالم كلّه لا زالت تقاتل بعد سنتين وتحقق الانتصارات؟
إنّ رئيساً عربياً يختار طريق فلسطين لا زال ثابتاً راسداً بتحقيق النصر؟
إنّ جيشاً عربياً بعد ثلاثين شهراً من القتال على مساحة بلده كلها، وسقوط آلاف الشهداء، ويفتح أخطر جبهتين شمالاً وجنوباً في نفس الوقت ويخفيّ المفاجآت.
عشرة قتلى «إسرائيليّين»، يسطون بنيران سورية على جبهة الجولان في يوم واحد ولا تجرّو «إسرائيل»، على شنّ حرب، وهي التي شنت كلّ حروبها الكبرى لأقلّ من هذا بكثير.
«الله أكبر» أنّ العالم يهتّر لتحرير القصبير التي وصفها «تاهم» بـ 70 في المئة من حرب سورية، وأنّ من يسونون أنفسهم «ثوّار» فجزوا كلّ جبهات القتال عندما سقط لإسرائيل» من جنودها القتلى.
«الله أكبر» لو تعرفون معنى المعجزة الكبرى التي تسجلها سورية بحزّ وكرامة في زمن الخنوع والتكالب العربيّين؟
لا مكان للكلام في زمن الفعل.

البناء

ناصر قنديل

المفيد لأبرز قضايا تحتاج إلى وقفة، وفيه «حدث معي» كباب لما أرويه عن أشياء تحدث وأحبّ أن أتشاركها معكم، وباب «قالت عن الحب» وما له وما عليه، وباب «قل كلمتك وامش»، وهذه الجمعة عن «البناء» وخطط تطويرها، وعن سمير جعجع وترشيحه، وعن أيام الرئيس المنتهية ولايته ميشال سليمان في قصر بعبداء قبيل المغادرة.

هذه الجمعة استعادة لمقال كتبته في مثل هذا اليوم، ومقال كتبته قبل ثلاث سنوات مع بدء الأزمة في سورية، وكيف كانت قراءتي المبكرة لها وما كتبته في وداع الصديق الشاعر جوزف حرب.

ذكر إن تنفج الذكري

المقال الوارد هنا هو النص الذي كتبته في 20–4–2011 بعد أيام على أحداث درعا التي دشّنت الأزمة والحرب في سورية، وأضعه بين أيديكم لأمرين... الأول يتمثّل بالانتباه، ومن على صفحات جريدة «تشرين» الحكومية، إلى وجود شكوى ومظالم وتطلّعات مشروعة شكّلت أساس اندلاع شرارة الأزمة من جهة، والانتباه إلى حجم المدبّر لسورية ومكانتها ومحاولات النيل منها من مجموعة القوى التي شكّلت حلف الحرب عليها من جهة ثانية.

إشعال الحرائق لتوازن الخسائر

تنشأ حالة السيولة الشعبية التي تستدعي التنبّه العالي في التعامل معها، لا سيما في ظلّ وجود السياسي المتحفز لتوظيفها ودفْعها إلى مسارات مرسومة بعيداً عن البراءة والنبل اللذين يشكلان خلفية بيئة الفوران والشكوى، السياسي هنا خبيث ومتورّط في مشروعات خارجية وبريد رسائل تمثّل جهات وقفت وتقف وراء خراب البلاد العربية ونهبها وإخضاعها لحساب «إسرائيل» لأكثر من نصف قرن. وهذا السياسي مكشوف النيات لأنه في محطات الخطر التي عاشتها سورية في معرّكتها الشرسة دفاعاً عن الاستقلال والسيادة، كان السياسي نفسه جزءاً من أدوات حرب الإخضاع التي استهدفت سورية، ويُراد منه اليوم أن يقدم صورة سورية كواحدة من ساحات الحرائق المتنتقلة، لتحقيق توازن الخسائر أمام ما يصيب الأنظمة التي رهنّت مستقبل بلادها وشعوبها للغرب وخضعت للإملاءات «الإسرائيلية»، لأنّ المطلوب أولاً أن يعوّض الغرب و«إسرائيل» خسائرها بخسائر موازية تصيب العرين الذي احتضن المقاومات العربية وراعها حتى تحققت الانتصارات التاريخية الكبرى، فيحلّ توازن الخسائر بدلاً عن الفشل في الحؤول دونها، وثانياً تثبّت مقولة أن لا علاقة بين ما شهدته وتشهده البلاد العربية ومواقف حكوماتها من المشروعات الأميركية و«الإسرائيلية»، لتجريد الشعوب العربية من وطنيتها وقوميتها كحوية حاضرة وحاضنة في كلّ تحركاتها، والسياسي الحاضر بوضوح ساطع في ما يُراد لسورية أن تشهدّه موظف صغير في خدمة هذين الهدفين.

التعامل اللبّث والبيّظ والعقلاني مع الفوران البريء العفوي، كما الإنصات والاستماع للشكوى النابعة من تطلع نحو العدالة والتطوّر والإصلاح، أو المتظلمة من معاناة حرمان أو فساد، يشكلان نصف المهمة في مواجهتها ما ينفق الغرب الماليين وينشئ له غرف العمليات في عواصم عربية وعالمية لتكون سورية مسرحاً له، لكن فضح السياسي الخبيث والموظف عند الأجنبي مهمة سيكتفل بها الشعب السوري، ولا يجوز التلكؤ في مواجهة استحقاقها تحت أيّ جماملة أو مسابرة.

قالت له

قالت: كيف تعرف علاقة الحبّ بالزمان والمكان؟ فقال: الحبّ ليس فيه مكان للعقل والذكاء فهو حمية شغف وفقدان سيطرة وهذا يكفي للسقوط الشاقولي نحو الالتصاق، أي زوال المكان الفاصل والزمان الفاصل والالتصاق قاتل، لأنّ زوال المسافات، أي المكان بين الأجساد في أقصر زمن وتساكن الأرواح لأطول زمن في المكان ينهيان القلق والخيال ليحلّ الاطمئنان والمحسوس مكانهما وهي السعادة في ظلنا فنسأل ماذا بعد؟ فيصير الحبّ دافعاً لا هجوماً، والدفاع لبداية الانحرام لأنّ الأجل قد مضى وصار الحفاظ عليه أو استعادة بعضه هدفاً وكلّ هجوم يحتاج هدفاً ليتحقق يجب لأجله قطع مسافة في المكان وعبور مساحة من الزمان والهجوم قلق وخيال. فسالت: وكيف يعيش الحبّ؟ فقال: بذكاء ليس منه في لحظة سقوط الزمان والمكان بالابتعاد منعاً للوصال وبحثاً عنه من جديد. فقالت: العذاب يصير هدفاً أم نهاية العذاب هي الهدف؟ فقال: ليس من هدف في حال الخوف الا الشعور بالأمان، ولا شعور بقيمة الأمان بلا استمرار الخوف من الخوف. فقالت: أنترخني أغفو على صدرك؟ فقال: لكن كيف أنام أنا على صدرك أيضاً؟ فعلى الحبيب أن يتعلم كيف يسعد لسعادة الحبيب، وعلى الحبيب أن يتعلم متى يتوقف عن السؤال ماذا تفعل لأجل سعادتني وفرحي؟ بل ماذا عليّ أن أفعل لأفرح برؤية الفرج في عينيك؟ وبدلاً من، ماذا أريد منك، ماذا عساك تريد مني ويفرحني بإبهارك أن أراك تتفاجأ وتدهش من كوني أدركته وفعلته، وهذا كله لا يستقيم متى استهلك المكان الفاصل وسط الزمان الفاصل، فالأفعال التي تضيع بين كونها عطاء بسخاء صناعة الفرج في العينين والالبتسامه أو كونها واجبات مستحقة لصناعة السكينة والأمان تفقد قيمتها في الحب فالحب حسن إدارة العلاقة بالمكان والزمان.



أحبّهم إلى قلبي

في وداع جوزف حرب كانت دمعتي من حبر على ورق أحبّ أن أستعيدّها معكم.

جوزف حرب كمشة من تراب الجنوب

لشعرك وفيروز كانت ليالينا المفتوحة على شاشة الفضاء كفراشات تحوم صوت ملاك الحب والحرب في عتم البراري وضوء النجوم لم يكن تلوّث الفضائيات قد صار تخمة تحتل التخوم كانت السماء شاشة المشاهدة الوحيدة في ليالي المقاومين وكان ترحالهم على حذاء فيروز بعيونك حنين وبسكوتك حنين وينفجر الجمع وتضمحل أمام اللحظة الحاسمة النفوس فتصرخ الأهالك لأهاتها أسواره العروس من قال مشغولة بالذهب ومن قال سيوفهم قصب ومن قال مش وقت العتب ومن قال عليك لرحيل بلا استئذان و قد صرت ترتيل حننا وحرنا وصرت صوت الأذان جمعت ما لم يجمع بيننا وكنت الكلمة في تموز لله ذرّك كم أحببت وكم كتبت وكم انتحيت ما كان العهد منك أن تدعنا بجميل المحبّا لقد عددناك أنك تغالب الموت فيموت وتبقى أنت حيّا وها هي تشاّقك الدروب بتولع حروب وبتتنطفي حروب ويتضلّك حبيبي يا تراب الجنوب من سينسي الحرب وجوزف حرب من ينسي الجنوب ما انتبهنا أنك لما قلت مشغول بقلوب يا تراب الجنوب كنت قد وضعت قلبك في كمشة تراب منه وهي تشاّق والشوق ضنين

بعيونك جنين وبسكوتك حنين تراب الجنوب مشغول بقلوب وقلبك مشغول بتراب الجنوب ولن تسكت يا نبض العاشقين لن تسكت يا زغرودة رشاش بيد المقاومين لن تسكت يا شاعر الحرب في تشرين ولن تسكت بعدما لم تجد إلا النمام بين العرب تحمّلك لن تسكت فقد خسنت ملوك العروش وأنت للشعر الملك لن تسكت ما أنبلك وما أجملك ووسام الأسد آخر ما جثّلك

^[1] لشدتك وفيروز كانت ليالينا المفتوحة على شاشة الفضاء

^[2] لشدتك وفيروز كانت ليالينا المفتوحة على شاشة الفضاء